جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم علوم القرآن والتربية الإسلامية

الدراسات العليا / الدكتوراه / أصول الدين

المادة : العقيدة

المرحلة : الدكتوراه / أصول الدين

اسم التدريسي: أ.د. سعد فتح الله عمر حسين

المحاضرة العاشرة: احوال الكفار مع معبوداتهم يوم القيامة

بعد ان اوضح الباري عزوجل نعيم اهل الجنة، ذكر تعالى مشهدا من مشاهد القيامة، وهو حال العابدين مع المعبودين من غير الله تعالى الذين يخشوهم الله تعالى مع آلهتهم المزعومة، لمناقشتهم امامهم عن الذي اضل الاخر، فيتبرأ المعبودون المتبوعون من العبدة الاتباع، ويفاجأ العابدون بانهم لن يجدوا بديلا ولا نصيرا لهم ،قال الله تعالى مصورا هذا الموقف المؤلم:

(يوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول ءانتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل* قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وابائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا* فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا).[1]

يخبر الله تعالى عما يقع يوم القيامة من تقريع الكفار في عبادتهم من عبدوا من دون الله تعالى كالملائكة وغيرهم،بقوله تعالى

(ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله فيقول أأنتم اضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل).

أي- واذكر يا رسول الله محمد ﷺ لاولئك المشركين ذلك اليوم الرهيب يوم المحشر،[2]حين يجمع الله الكفار والاصنام وكل من عبد من دون الله كالملائكة والمسيح وعزيز والاصنام التي ينطقها الله تعالى ،وغيرهم من الناس كفرعون، الذين عبدوا من الله تعالى [3].

وقد ذكر الماوردي ان معنى الحشر هنا (اما انه حشر الموت،وهو ما قاله مجاهد. واما انه حشر البعث،وهذا ما قاله ابن عباس).[4]

---

[1] الفرقان: الايات ١٧-١٩.

[2] الحشر: هو اخراج الجماعة وحشرهم بجمعهم ،كما في قوله تعالى (وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) سورة الكهف الاية (٤٧) بمعنى جمعناهم. ينظر: اصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم-للدامغاني،ص١٣٣.

[3] ينظر: التفسير الكبير-للرازي ٦١/٢٤،والتفسير الوسيط للقرآن الكريم-د.محمد طنطاوي،ص١٧٨٨.

[4] النكت والعيون-لعلي الماوردي ١٥١/٣.

والذي يبدو ان قول ابن عباس (رضي الله عنهما) هو الراجح وهو حشر البعث، لان في الاية الكريمة سيأتي كلام ذكر عن البعث وكيف يقفون امام الباري عز وجل وكيف يسال الباري عز وجل الهتهم.

وقوله تعالى (وما يعبدون من دون الله)

قال القرطبي (أي من الملائكة والانس والجن والمسيح وعزيز ،قال مجاهد.وقال الضحاك وعكرمة ،الاصنام).[٥]

وقال ابو حيان (قال الكلبي"يحي الله الاصنام يومئذ لتكذيب عابديها"، وذكر ابو حيان ان الرأي الاظهر–هو قول الجمهور وهو انه سبحانه وتعالى يحشر المعبودين من العقلاء ممن لم يامر بعبادته،كالملائكة وعيسى وعزيز ،وذلك كقوله تعالى (أأنتم أضللتم عبادي) وما بعده من المحاورة التي اظهرها انها لا تصدر الا من العقلاء،وقد جاء ايضا في القرآن الكريم من الايات ما يشتبه ذلك منصوبا في قوله عز وجل (ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون).[٦]

وقوله سبحانه لعيسى بن مريم (ءانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله).[٧] وسؤاله تعالى وهو عالم بالمسؤول عنه ليجيبوا بما اجابوا به فيبكت عبدتهم بتكذيبهم اياهم فيزيد حسرتهم،ويسر المؤمنون بحالهم ونجاتهم من فضيحة اولئك، وليكون حكاية ذلك في القرآن ولطفا للمكلفين".[٨]

ويقال لاولئك المعبودين على سبيل التقرير والتثبيت (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء ام هم ضلوا السبيل).[٩]

أي أأنتم عبادي في الضلال عن طريق الحق، او هل دعوتم هؤلاء الى عبادتكم من دوني ام هم ضلوا عنه بانفسهم او عبدوكم من تلقاء انفسهم من غير دعوة منكم لهم،[١٠]كما

---

[٥]الجامع لاحكام القرآن–للقرطبي ١٠/١٣ ،وزاد المسير في علم التفسير–للجوزي ٧٨/٦.

[٦]سبأ: الاية ٤٠.

[٧]المائدة: الاية ١١٦.

[٨]البحر المحيط–للاندلسي ٤٨٨/٦.

[٩]في هذه الاية الكريمة–استفهام تقريع وتبكيت للعابدين (انتم اضللتم عبادي هؤلاء) هل انتم وقعتموهم في الضلال بامركم اياهم بعبادتكم (ام هم ضلوا السبيل) أي ام اخطؤوا طريق الحق بانفسهم لاضلالهم بالنظر الصحيح والعراضهم عن المرشد النصيح. ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني–للالوسي ٢٤٨/١٨.

قال تعالى (وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وامي آلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك انك انت علام الغيوب).[١١]

وفي هذه الاية الكريمة يخاطب الله تعالى (المعبودين) من العقلاء وغير العقلاء، والدليل على ذلك:-

١. استعمال (ما) في قوله تعالى (وما يعبدون) لانها موضوعة للعقلاء وغير العقلاء، على العموم ، وفائدة لان السؤال ليس عن الفعل ووجوده، لانه لولا وجوده لما توجه هذا العتاب، وانما هو عن متوليه وفاعله،فلابد من ذكر ليعلم انه المسؤول عنه، كما في قوله تعالى (والسماء وما بناها* والارض وما طحاها* ونفس وما سواها).[١٢]
٢. ان القرآن الكريم قد ذكرفي آيات عدة ان الله تعالى سيحشر العقلاء وغير العقلاء يوم القيامة ،فيتبرأ المعبودون من العابدين،كما في قوله تعالى (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون* قالوا سبحانك انت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن اكثرهم بهم مؤمنون).[١٣]

وقوله سبحانه وتعالى عن غير العقلاء (وقال انما اتخذتم من دون الله اوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا).[١٤] [١٥]

وهذه الاية الكريمة-يصور الباري عز وجل مشهد من مشاهد يوم القيامة،كيف يقف الجميع عبادا ومعبودين على قدم المساواة امامه عز وجل،وكيف تكون المحاججة والخصام بين المعبودين والعابدين ،فيسألهم ربهم وهو عالم بهم.

(أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل).

---

[١٠]ينظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور-للسيوطي ٦٥/٥، وارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم-لابي السعود العمادي ٨٣/٤.

[١١]المائدة: الاية ١١٦.

[١٢]الشمس: الايات ٥-٧.

[١٣]سبا: الايتان ٤٠-٤١.

[١٤]العنكبوت: الاية ٢٥.

[١٥]ينظر: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل-للزمخشري ،والتفسير الكبير-للرازي ٦١/٢٤.

فهذا مشهد من مشاهد القيامة ،يتميز بالمواجهة الفعلية بين العابدين والمعبودين ،ويتم فيه تقريع الكافرين في عبادتهم غير الله تعالى...

٢. اجابة المعبودين يوم القيامة

ثم يخبر الله تعالى عما يجيب به المعبودين يوم القيامة ،بقوله:-

(قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء ولكن متعتهم وابائهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوما بورا).

أي –قال المعبودون بلسان المقال او الحال على طريق التعجب مما قيل لهم: تنزيها لك يا رب مما نسبه اليك المشركون، ما كان يصح لنا بحال ان نتخذ انصارا من دونك ،فنحن الفقراء اليك، وليس للخلائق كلهم ان يعبدوا احدا سواك ،فنحن ما دعوناهم الى عبادتنا بل هم فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم من غير امرنا ولا رضانا، ونحن براء منهم ومن عبادتهم واذا كنا لا نرى من دونك اولياء ،فكيف ندعوا غيرنا الى ذلك؟ ولكن طال عليهم العمر،وشغلوا بما انعمت عليهم من صنوف الخيرات، واستغرقوا في اللذات والشهوات ،ونسوا ما انزلته اليهم على السنة رسلك من الدعوة الى عبادتك وحدك لا شريك لك، وكانوا قوما لا خير فيهم، وهلكى في نهاية الامر.[١٦]

فهنا يعلن المعبودين البراءة من العابدين لهم في الدنيا، بقولهم (سبحانك)[١٧] حيث انهم منزهوه وموحدوه، فلا باستطاعتهم ان يضلوا عباده او يوجهونهم الى غير عبادة الله تعالى ،والله تعالى هو اعلم بحالهم وحال عبدهم في الدنيا، ولكن الله تعالى اراد بهذا السؤال ان يلقي الحجة عليهم لينال كل فريق الجزاء العادل الذي لا يظلم فيه احد.[١٨]

قال تعالى (ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عباد لي من دون الله ولكن كونوا ربانين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون* ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا أيأمركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون).[١٩]

---

[١٦] ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج–د. وهبة الزحيلي ١٩/٣٨–٣٩، و التفسير الوسيط للقرآن الكريم–د. محمد طمطاوي،ص١٧٨٨–١٧٨٩.

[١٧] سبحانك: تنزيه الله تعالى من السوء ومن الصاحبة والولد. ينظر: المفردات في غريب القرآن –لراغب الاصفهاني ،ص٢٢١.

[١٨] ينظر: ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم–لابي السعود العمادي ٤/٨٣، والعقائد الاسلامية –لسيد سابق، ص١٠٥–١٠٦.

[١٩] آل عمران: الايتان ٧٩–٨٠.

فهكذا كانت نتيجة الجواب والسؤال بيان حصر المسؤولية عن الضلال في العابدين دون المعبودين، وجعل تبرء المعبودين عن العابدين سببا واضحا في حسرتهم وحيرتهم..

ونظير الاية ،قوله تعالى في سورة سبأ (ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة اهؤلاء اياكم كانوا يعبدون*قالوا سبحانك).[٢٠]

٣. تبري المعبودين وموقف العابدين منهم

(فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا).

يقول الله سبحانه للعابدين عند تبري المعبودين (فقد كذبوكم بما يقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا).

أي- فقد كذبكم الذين عبدتم من دون الله تعالى فيما زعمتم انهم لكم اولياء مناصرون، وانهم يقربكم الى الله تعالى زلفى، فلا يقدرون-أي الالهة المزعومة-على صرف العذاب عنهم ،ولا الانتصار لانفسهم باي حال ابدا،[٢١]كما قال تعالى (ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له الى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون* واذا حشر الناس كلهم لهم اعداء وكانوا بعبادتهم كافرين).[٢٢]

وفي هذه الاية الكريمة-يتوجه الله تعالى لمخاطبة اولئك الكفرة العتاة الجهلاء بعد ان كذبوهم المعبودون في قولهم آنفا،فلا مفر لهم اليوم من عذاب الله تعالى (فقد كذبوكم بما تقولون فما تستطيعون صرفا ولا نصرا).

فهم في ذلك الموقف العظيم، لا يملكون صرف العذاب عن انفسهم ، ولا يستطيعون نصر انفسهم...

وقد ذكر لنا الامام الماوردي اربعة اوجه في لفظة (الصرف) في هذه الاية الكريمة، وهي:

---

[٢٠] سبأ: الايتان ٤٠-٤١.

[٢١] ينظر: البحر المحيط: للاندلسي ٤٨٩/٦.

[٢٢] الاحقاف: الايتان ٥-٦.

١. صرف العذاب عنهم ، ولا ينصرون انفسهم ، قاله ابن زيد.[٢٣]

٢. فما يستطيعون صرف الحجة عنهم ولا نصرا على الهتهم في تعذيبهم ،قاله الكلبي.

٣. فما يستطيعون صرفك يا محمد ﷺ عن الحق ولا نصر انفسهم من عذاب التكذيب،حكاه ابن عيسى.

٤. ان الصرف : الحيلة ، حكاه ابن قتيبة ،والصرف الحيلة: ماخوذ من قولهم: انه ليتصرف أي يحتال.[٢٤]

والذي يبدو ان القول الاول هو الارجح،لان معنى (الصرف) هو ان الكفار في ذلك اليوم العظيم ،بعد ان اقامة الحجج والبراهين عليهم،لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ولا نصر انفسهم....

ثم اعلن الله تعالى حكم كل ظالم،فقال:

(ومن يظلم منكم نذقه عذابا كبيرا) أي –ومن يشرك بالله تعالى او يكفر او يفسق نذقه يوم القيامة عذابا شديدا، لا يعرف قدره.[٢٥]

والظلم هنا هو الاشراك ونحوه كما قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم)[٢٦]،وقوله سبحانه (ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون).[٢٧]

وقال بعض الحكماء: الظلم ثلاثة:–

الاول:–ظلم بين الناس وبين الله تعالى ، واعظمه الكفر والشرك والنفاق،ولذلك قال تعالى (ان الشرك لظلم عظيم).[٢٨]

---

[٢٣]ابن زيد: هو سعيد بن اوس بن ثابت الانصاري، كان عالما بالنحو واللغة وكان ثقة من اهل البصرة، تفي بالبصرة سنة خمس عشرة ومائتين من الهجرة،وقيل ست عشرة ومائتين،ينظر: وفيات الاعيان لابن خلكان ٢/٣٧٨-٣٧٩، وبغية الوعاة في طبقات اللغوين والنحاة–لجلال الدين السيوطي ١/٥٨٢،ط١–مطبعة عيسى البابي الحلبي–١٩٦٥م–تحقيق :محمد ابو الفضل ابراهيم.

[٢٤]النكت والعيون–لعلي الماوردي ٣/١٥٢.

[٢٥]ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج–د. وهبة الزحيلي ١٩/٣٩.

[٢٦]لقمان: الاية ١٣.

[٢٧]الحجرات: الاية ١١.

[٢٨]لقمان: الاية ١٣.

وإياه قصد بقوله تعالى (الا لعنة الله على الظالمين)[٢٩]، وقوله تعالى (والظالمين اعد لهم عذابا اليما).[٣٠]

الثاني: ظلم بينه وبين الناس، واياه قصد بقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين).[٣١]

الثالث: ظلم بينه وبين نفسه، واياه قصد بقوله تعالى (فمنهم ظالم لنفسه).[٣٢]

وكل هذه الثلاثة في الحقيقة ظلم للنفس، فان الانسان في اول ما يهم بالظلم فقد ظلم نفسه، فالظالم ابدا مبتدئ في الظلم،ولهذا يقول تعالى (وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون).[٣٣] وهذا نجده كثيرا في القرآن الكريم[٣٤].

ويقول الالوسي(وتفسير الظلم بالكفر ،هو المروي عن بان عباس ،والحسن،وابن جرير، وايد بأن المقام يقتضيه ،فان الكلام في الكفر ووعيده من مفتتح السورة،وجوز ان يراد ما يعم الشرك وسائر المعاصي والوعيد بالعذاب لا ينافي في العفو بالنسبة الى غير المشرك لما حقق في موضعه).[٣٥]

وهذا هو حكم الضالين المقلدين الجاهلين، اسوء حكم واشر مصير، ظلما وعنادا ،ولا يقادر قدره،ولا يبلغ امره....

---

[٢٩]هود: الاية ١٨.

[٣٠]الانسان: الاية ٣١.

[٣١]الشورى: الاية ٤٠.

[٣٢]فاطر: الاية ٣٢.

[٣٣]النحل: الاية ١١٨.

[٣٤]المفردات في غريب القرآن-لراغب الاصفهاني،ص٣١٥،والقاموس المحيط-للفيرزو آبادي ١٤٧/٤.

[٣٥]روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني-للالوسي ٢٥٣/١٨.